معجزة الإسراء والمعراج
بين الأحداث والنتائج

د. عبد الله عبد الحي محمد

الحمد لله رب العالمين . والصلاة وسلاماً دائمين على خاتم النبيين والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعـــد :

فهذا بحث موجز عن الإسراء والمعراج أقدمه للقراء لعله يسهم بقدر محدود في مجال الدعوة والتعريف بها والوقوف على ما أحاط بها من أحداث وقبل الحديث عن معجزة الإسراء والمعراج لا بد أن نشير إلى الأحداث الجسام التي سبقت تلك المعجزة وأدت إلى حدوثها .

نزلت آيات التبليغ والإنذار على رسول الله ﷺ ومنها قوله تعالى (يأيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر ، وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر)(١) .

ومنذ أن نزلت ورسول الله ﷺ قائم بأمر الدعوة محتملا كل مايصيبه في سبيلها وقد تضمنت الآيات ما يشير الى ذلك في قوله تعالى (ولربك فاصبر) مايشير إلى ماسيلقاه النبي ﷺ من أذى المعاندين من استهزاء وسخرية وأذى واضطهاد إلى غير ذلك مما لحق برسول الله ﷺ وبكل من آمن به .

هذا ومن ناحية أخرى فإن مطلع الآيات تضمنت النداء العلوي باصطفاء النبي ﷺ لأمر جلل وانتزاعه ﷺ من النوم والتدثر والراحة إلى الجهاد والكفاح والمثابرة ، يأيها المدثر ، قم فأنذر وكأن الآيات تقول : إن الذي

(١) سورة المدثر

يعيش لنفسه قد يعيش مستريحا ، أما أنت وقد تحملت عبء التبليغ والتوجيه والنصح والإرشاد وفيه تنذر وتبشر فما لك والنوم ؟ وما لك والفراش الدافىء ؟ والعيش الهادىء . قم للأمر الخطير الذى ينتظرك قم للجهد والنصب ومنذ ذلك الوقت .

وقد قام الرسول ﷺ وعلى مدى مازاد على العشرين عاماً لا يتوقف عن أمر التبليغ والإنذار وإليك بعض المواقف :

١ — من المعلوم أن مكة كانت مركز الدين عند العرب كما كان بها سدنة الكعبة وفيها الأصنام والأوثان المقدسة عند العرب ؟ ولذلك أصبح مجال الإصلاح عن طريقها صعب وعسير ومن هنا كان الأمر محتاجاً إلى العزيمة القوية التى لا تنال منها الكوارث ولا الشدائد ولهذا كانت الدعوة فى نطاق ضيق . حتى لا يفاجأ أهل مكة بما يهيجهم .

٢ — فى هذا النطاق المحدود وفى ذلك المجال الحذر الذى كان فيه النبى ﷺ يلتقى بالأقربين إليه . أجاب دعوته جمع عرفوا إسلاميا بالسابقين الأولين من أبرزهم زوجه الوفية أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ومولاه زيد ابن ثابت بن شرحبيل الكلبى الذى كان قد أسر . فملكته خديجة ووهبته لرسول الله ﷺ وآثر العيشة مع النبى على العودة مع أبيه وعمه بعد أن خيره النبى أمامهما فى العودة أو البقاء ، ومنهم ابن عمه على بن أبى طالب الذى كان صبياً يعيش فى كفالة الرسول ﷺ وأيضا كان من الرجال الذين سبقوا إلى الإسلام صديق النبى الصادق أبو بكر رضى الله عنه .

ومن الأيام الأولى للدعوة والتى فيها أسلم أولئك المؤمنين نشط الصديق أبو بكر فى الدعوة إلى الإسلام وكان ذا خلق طيب يألفه الناس ويحبونه لعلمه وتجارته ومجالسته . فاستمر يدعو كل من يأنس فيهم الفكر الصحيح والإنصاف الصادق ممن يغشاه ويختلط به ، وكان من ثمار ذلك إسلام عثمان ابن عفان الاموى ، والزبير بن العوام الاسدى . وعبد الرحمن بن عوف

وسعد ابن أبي وقاص من بني زهرة ، وطلحة بن عبد الله التيمي . فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس هم الرعيل الأول .

كما كان من أوائل من أسلم في الإسلام بلال بن رباح الحبشي ، وأمين تلك الأمة أبو عبيدة عامر بن الجـــراح بن الحارث بن فهر ، وأبو سلمة ابن عبد الأسد والأرقم بن أبي الأرقم من بني مخزوم ، وعثمان بن مظعون وأخواه قدامة وعبد الله ، وعبيدة بن الحارث بن المطلب من بني عبد مناف وسعيد بن زيد العدوي ، وامرأته فاطمة بنت الخطاب العدوية أخت عمر ابن الخطاب وخباب بن الأرت ، وعبد الله بن مسعود الهذلي وغـــيرهم . وأولئك هم السابقون الأولون وكلهم يمثلون بطون قريش .

وذكر هشام أنهم كانوا أكثر من أربعين نفراً .

وقد كان ﷺ يجتمع بهؤلاء السابقين في الإسلام يرشدهم ويعلمهم الدين الحق يلتقي بهم ﷺ في حذر وحيطة خشية عليهم من القوم وتدرجاً في الدعوة إلى الله كما شاء لها الله أن تكون كذلك .

وقد تتابع نزول الوحي عليه ﷺ بعد آيات المدثر الأولى وكلها يرمى تزكية النفس وتربيتها والتحذير من تلويثها بشهوات الدنيا وجرائر الجسم كما تصف الجنة والنار كأنهما رأي عين .

(١) سيرة ابن هشام ٢٤٥/١ إلى ٢٦٢

الصلاة :

وقد ذكر فريق من العلماء أن فى أوائل ما نزل من القرآن الكريم الأمر بالصلاة .

مثل قوله تعالى (وسبح بحمد ربك بالعشى والإبكار)(١) .

قال مقاتل ابن سليمان : فرض الله الصلاة فى أول الإسلام ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى ، كما ذكر ابن حجر أن النبى ﷺ كان يصلى قبل الإسراء وأيضا أصحابه إلا أن العلماء اختلفوا هل شىء قبل الصلوات الخمس أم لا ؟ فقيل إن الفرض كان كانت صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب .

وروى عن زيد بن حارثة : أن رسول الله ﷺ فى بدء الوحى أتاه جبريل فعلمه الوضوء فلما فرغ من الوضوء أخذ غرفة من ماء فنضح بها فرجه .

وقد روى نحوه عن البراء ابن عازب وابن عباس وقد جاء فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما : وكان ذلك فى أول الفريضة(٢) .

كما ذكر ابن هشام أن النبى ﷺ وأصحابه كانوا إذا حضرت الصلاة ذهبوا فى الشعاب فاستخفوا بصلاتهم من قومهم وقد رأى أبو طالب النبى ﷺ — وعليا يصليان مرة ، فكلمهما فى ذلك ، ولما عرف جلية الأمر أمرهما بالثبات(٣) .

---

(١) سورة ٤٠ آية / ٥٥

(٢) راجع مختصر سيرة الرسول ص٧٨ للشيخ عبد الله النجدى .

(٣) جـ ١ ص ٢٤٧ ابن هشام .

علم قريش بالأمر :

رغم الحيطة والحذر اللذين سلكهما رسول الله ﷺ فى أول الأمر قد علمت قريش نبأ الدعوة الإسلامية غير أنها ربما ظنت أن ذلك من قبيل ما كان من شأن أمية ابن أبى الصلت ، وقس بن ساعدة وعمرو بن نفيل وأمثالهم ومع ذلك توجست خيفة من ذيوع خبره وامتداد أثره وأخذت ترقب على الأيام مصيره ودعوته(١) .

وفى تلك الفترة التى أطلق عليها بعض الباحثين — المدة التى دعا فيها النبى ﷺ إلى الاسلام سرا — والتى استمرت ثلاث سنوات فى أثنائها تجمع حول النبى ﷺ جماعة من المؤمنين رباهم على المنهج الإسلامى الصحيح وبعد ذلك جاء الأمر من الله تعالى بالجهر بالدعوة فأعلن النبى عن دعوته إلى ربه وجابه باطل القوم وهاجم ما كانوا عليه من معتقدات باطلة ما أنزل الله بها من سلطان .

آيات الأمر بالإعلان عن الدعوة والجهر بها :

كان النبى ﷺ قد نادى فى عشيرته الاقربين تحقيقا لقوله تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين) وقد ذكر البخارى عن ابن عباس قال : لما نزل قوله (وأنذر عشيرتك الاقربين) صعد النبى ﷺ على الصفا ، فجعل ينادى يابنى فهر يابنى عدى بطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ماهو ؟ فجاء أبو لهب وقريش . فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟ قالوا : نعم ماجربنا عليك إلا صدقاً قال : فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد فقال أبو لهب : تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فنزلت (تبت يدا أبى لهب وتب)(٢) .

---

(١) انظر فقه السيرة للشيخ محمد الغزالى صـ ٢٧٦

(٢) انظر صحيح البخارى جـ ٢ صـ ٢٠٧ ، صـ ٧٤٣

وقد ظل صوت النبي وقد أعلنه على الصفا فعله في أرجاء مكة كلها حتى نزل قوله تعالى [فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين](١) .

ومنذ أن نزلت الآيات وحى لنبي ﷺ ربه لم يترك مجالا لله فيه مقال أي استمر في الإعلان عن الدعوة بالأسلوب المهذب والحكمة الحقة والموعظة الحسنة .

وعلى هذا المنهج وضح كل مايتعلق بالعقيدة دون أن يهادن أو يجامل فالحق لامهادنة فيه ولا مجاملة كذلك فيما يتعلق ببقية المجالات الإسلامية كلها مما يرتبط بالعبادة والمعاملة والسلوك .

وكان على أهل مكة لو استخدموا عقولهم أن يستجيبوا لذلك الحق الذي يدعون إليـــه ولكنهم التقليد الأعمى للآباء والأجداد رفضوا أن يستمعوا لشيء مما دعاهم إليه صلى الله عليه وسلم بل كانوا يلغون بالقول أثناء سماعهم حتى لاتتعلق أذهانهم بشيء يتلى .

ثم جندوا أنفسهم للحرب ضد هذا الدين الجديد واتخذوا من أجل ذلك وسائل مختلفة حاولوا عن طريقها أن ينالوا بغيهم إلا أن كل محاولاتهم باءت بالفشل والخسران المبين .

فقد ذهبوا إلى أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم . قائلين له : إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه فإنك على مثل مانحن عليه من خلافه ، فنكفيكه .

فقال لهم أبو طالب قولا رفيقاً وردهم رداً جميلا فانصرفوا عنه

---

(١) سورة الحجر /٩٤ .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ماهو عليـــه يظهر دين الله ويدعو إليه(١) .

واقترب موسم الحج وخشيت قريش أن يلتقي رسول الله ﷺ بوفود الحج فيستجيب له من يستجيب فاجتمعوا جميعاً يتشاورون فيما يسلكونه تجاه ذلك فتكلم منهم من تكلم وجاء الوليد بن المغيرة ورد عليهم ماعرضوه من اقتراحات وقال لهم اتفقوا على شيء ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ويرد قولكم بعضه بعضا قالوا فأنت فقل .

قال لهم بل أنتم فقولوا أسمع . قالوا نقول كاهن قال لا والله ماهو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه قالوا فنقول مجنون قال : ماهو بمجنون .

لقد رأينا الجنون وعرفناه ،ماهو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ماهو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهجزه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر، قالوا فنقول ساحر قال ماهو بساحر لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم قالوا فما تقول ؟

قال : والله إن لقوله لحلاوة وإن أصله لعذق وإن فرعه لجناه وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا: ساحر جاء يقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك(٢) .

---

(١) ابن هشام جـ ١ ص ٢٦٥ .

(٢) ابن هشام جـ ١ ص ٢٧١ .

وجاء فى بعض الروايات أن الوليد عندما رد عليهم كل ما اقترحوا قالوا : أردنا رأيك الذى لا غضاضة فيه فقال لهم : أمهلونى أفكر فى ذلك، فظل الوليد يفكر ويفكر حتى أبدى لهم رأيه هذا الذى تقدم .

وقد نزل فى الوليد ست عشرة آية من سورة المدثر من قوله تعالى .

إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر سأصليه سقر الخ .

وبعد ذلك سار الأفراد من قريش فى أرجاء مكة وطرقها لا يمر بهم أحد إلا حذروه من النبى ﷺ وذكروا لهم أوصافا مختلفة مفتراه لا تليق به ﷺ (١) .

وبجانب ذلك كله فقد اتخذوا كما أشرت من قبل أساليب شتى لمحاربة الدعوة وإيذاء من يؤمنون بها من ذلك :

١ — السخرية والتحقير والتكذيب والاستهزاء قصدهم من ذلك توهين قوى المسلمين المعنوية ، فرموه ﷺ بالتهم والشتائم فمرة يناودنه بالمجنون .

(وقالوا يأيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون)(٢) وأخرى بالسحر والتكذيب .

وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب(٣) .

---

(١) راجع مسند الإمام أحمد ٣/٤٩٢ ، ٤/٣٤١
(٢) الحجر ٦
(٣) سورة ص ٤

وأخرى يشيعونه بالمنظرات النافقة (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون)(١) .

٢ — كما كان من أساليبهم المفتراه تشوية تعاليم الإسلام وإثارة الشبهات حولها ونشر الدعايات الكاذبة حول الإسلام ونبيه ﷺ فقالوا عن القرآن (أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا)(١) .

وقالوا عن الرسول ﷺ (ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق) .

وقد رد الله سبحانه وتعالى كل أفتراء هؤلاء القوم والقرآن الكريم مليء بتلك الردود التي جاءت من عند الله تعالى منها قوله تعالى :

ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون . وإن لك لأجراً غير ممنون وإنك لعلى خلق عظيم فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين(٢) .

٣ — من أساليبهم أيضاً : مساوماتهم العديدة والمتنوعة قصدوا منها أن يلتقي الإسلام والجاهلية معاً بأن يترك المشركون بعض ما هم عليه ويترك النبي ﷺ بعض ما يدعو إليه قال تعالى عن ذلك (ودوا لو تدهن فيدهنون)(٣) .

---

(١) سورة الفرقان ٥

(٢) الفرقان ٧

(٣) سورة ق ٩

قال ابن جرير في ذلك إن المشركين عرضوا على رسول الله ﷺ أن يعبد آلهتهم عاماً، ويعبدون ربه عاماً وجاء في رواية لعبد بن حميد ما يفيد أنهم قالوا : لو قبلت آلهتنا نعبد إلهك(١) .

وقد ذكر ابن اسحق بسنده قوله : اعترض رسول الله ﷺ وهو يطوف بالكعبة الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى والوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاص بن وائل السهمي وكانوا ذوى أسنان في قومهم فقالوا يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت في الأمر .

فإن كان الذي تعبد خيراً مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه ، وإن كان ما نعبد خيراً مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه فأنزل الله في ذلك قوله تعالى :

(قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون) السورة(٢) .

لم تفد تلك المساومات قريشاً بل أوقفتهم على حقيقة أمر النبي ودعوته وأنه لم يكن من اللون الذي يخدع أو يشترى ولم يكن ما جاء به من أمر الدين على لون ما ورثوه عن الآباء والأجداد وجاءوا لأسلوب آخر .

---

(١) راجع تفهم القرآن جـ ٤ صـ ٩ لأبي الأعلى المودودي
(٢) ابن هشام جـ ١ صـ ٣٦٢

الأذى والتعذيب والقسوة والاضطهاد :

بعد أن فشل المشركون فيما سبق اجتمع سادتهم وكانوا كما ذكر ابن هشام خمسة وعشرون رجلا من سادات قريش على رأسهم أبو لهب عم النبي ﷺ واتفقوا بعد مشاورات أن يواجهوا الإسلام والمسلمين بالقوة والعنف مهما كلفهم ذلك وألا يألوا جهداً في محاربة هذا الدين وإيذاء نبيه وتعذيب كل من دخل ومن يدخل فيه(١) .

وكان من السهل على قريش أن تنفذ أسلوب العنف ضد المسلمين عامة وأن السابقين إلى الإسلام كانوا من المستضعفين الذي لا يجدون من يدافع عنهم من رءوس القبائل .

أما بالنسبة لرسول الله ﷺ فكان الأمر فيه صعوبة خاصة وأن أبا طالب أخذ على عاتقه وصية أبيه عبد المطلب في الذود عن ابن أخيه ومنعه من كل أذى يصيبه ولكن أبا لهب عم النبي كان من أول من تجرأ على تنفيذ الخطة في مجال الأذى ضد رسول الله عليه الصلاة والسلام .

وقد فعل ذلك في أول لقاء تم بين رسول الله وعشيرته الأقربين كما حاول وقت أن كان على الصفا أن يلقي حجراً على رسول الله ﷺ كما ذكرت ذلك بعض الروايات فيما ذكر عن الترمذي(٢) .

ومن إيذاء أبي لهب لرسول الله ﷺ مافعله بينتيه رقية ، وأم كلثوم اللتين كانتا في عصمة ولدي أبي لهب حيث زوجهما رسول الله ﷺ قبل

---

(١) رحمة العالمين جـ ١ ص ٥٩ ، ٦٠

(٢) راجع الرحيق المختوم للشيخ صفي الرحمن المباركفوري ص ٩٨

الإسلام من ولدى أبي لهب، فما زال بهما بعد البعثة يشتد عليهما حتى تم طلاقهما من ولديه.

ولم يكن ذلك الأذى من أبي لهب فحسب وإنما كانت زوجة أم جميل أروى بنت حرب من أمية أخت أبي سفيان تصنع برسول الله الكثير من ألوان الأذى كما كانت هي الدافع الأول لزوجها أبي لهب في كل ما صنعه بالرسول ﷺ.

فقد كانت تجمع الكثير من الشوك والقاذورات وتلقى بها ليلا على باب النبي ﷺ كما كانت تؤذيه بلسانها من بذيء القول وعظيم الافتراء والدس واشعال نار الفتنة ولهرب ضده عليه الصلاة والسلام ولا غرابة بعد ذلك أن تسمع وصف القرآن وحكمه عليها في قوله تعالى [وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد] وتأمل مايرويه ابن هشام بعد سماعها بما نزل فيها وفي زوجها من قرآن حيث يقول : إن امرأة أبي لهب عند سماعها الخبر أخذت في يدها فهر (أي ما يملأ الكف من الحجارة) وتوجهت إلى المسجد الحرام حيث يجلس النبي ﷺ ويجوازه صاحبه أبو بكر الصديق عند الكعبة ولما وصلت إلى مكان جلوسهما أخذ الله ببصرها فلم تر النبي وإنما رأت أبا بكر وحده فقالت : أين صاحبك يا أبا بكر ؟ قد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه،

أما والله إني لشاعرة، ثم أنشدت تقول : مذمما عصينا، وأمره أبينا، ودينه قلينا ثم انصرفت فقال الصديق : يارسول أماتراها رأتك ؟ فقال النبي ﷺ : مارأتني لقد أخذالله ببصرها عني(١).

---

(١) ابن هشام جـ ١ صـ ٣٣٥، ٣٣٦.

وذكر ابن اسحق قوله : كان النفر الذين يؤذون رسول الله ﷺ في بيته أبالهب والحكم بن أبي العاصي بن أمية وعقبة بن أبي معيط، وعدي بن حمراء الثقفي، وابن الأصداء الهزلي وكانوا جيرانه لم يسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبي العاص فكان أحدهم يطرح عليه ﷺ رحم الشاة وهو يصلي، وكان أحدهم يطرحها في برمته إذا نصبت له، حتى اتخذ رسول الله ﷺ حجراً ليستتر به منهم إذا صلى الخ(١).

وهكذا كان هؤلاء الأشخاص من قريش يفعلون ما يمكن أن يصلوا إليه من أذى واضطهاد ضد الرسول ﷺ فضلا عما كان يصيب أصحابه منهم من أذى واضطهاد وسخرية وتعذيب.

الإذن للصحابة بالهجرة إلى الحبشة :

وقعت الهجرة إلى الحبشة مرتين ففي السنة الخامسة للبعث خرج المسلمون في شهر رجب خفية يريدون الحبشة تنفيذاً لما أشار به ﷺ وهيأ الله لهم سفينتين كبيرتين أبحرتا بهم إلى الحبشة، وفطنت قريش للمسلمين ولكن لم تتمكن من العثور عليهم إذ أنهم عندما وصلوا إلى الشاطئ كانوا قد مضوا آمنـــين وأحسن ملك الحبشه إلى المسلمين ولم يلحق بهم أذى في جـــواره.

وفي شهر رمضان من السنة الخامسة للبعثه أي في نفس السنة التي هاجر فيها المسلمون إلى الحبشه كان النبي ﷺ قد ذهب إلى الحرم وهناك عدد كبير من قريش وصار يتلو سورة النجم وعندما وصل إلى قوله تعالى في آخر السورة [فاسجدوا لله واعبدوا] سجد ﷺ ولم يتمالك المشركون أنفسهم عند سماع القرآن وخروا ساجدين على الأرض عندما شاهدوا

---

(١) ابن هشام ج ١ ص ٤١٦.

النبي يسجد وعند ذلك أصابهم الهلع والفزع فافتروا والتكذيب كعادتهم وقالوا: إن محمداً قد مدح آلهتنا وقال عنها: (تلك الغرانيق العلى، إن شفاعتهن لترتجى) فسجدنا معه لذلك.

وقد جاءوا بهذا الأفك كعادتهم وظنوا أنهم بذلك سيخفوا ما وقع منهم من سجود مع رسول الله تعالى ولكن الله كشف أمرهم وعرف المسلمون ذلك دون أن يخفى عليهم شيء من دسائس الأعداء.

وقد بلغ الخبر المسلمين فى الحبشه ولكن بغير ما زعم المشركون فقد بلغهم أن قريشاً أسلمت، فعادوا إلى مكة فى شوال من نفس السنة، فلما اقتربوا من مكة عرفوا حقيقة الأمر ورجع منهم من رجع إلى الحبشه ولم يدخل أحد فى مكة إلا مستخفيا أومستجيراً برجل من قريش (١).

واشتد إيذاء المسلمين أكثر من ذى قبل فلم ير النبي بدا من أن يشير إلى أصحابه بالهجرة إلى الحبشة مرة أخرى وحاول المشركون أحباط الهجرة تلك المرة بصورة أشد حذراً عما سبق ولكن المسلمين كانوا أسرع منهم وقد يسر الله لهم أن يعودوا إلى الحبشة للمرة الثانية وكان قد ازداد العدد فى الهجرة الثانية إلى الحبشة فكان العدد ثلاثة وثمانين رجلا وثمان عشرة أو تسع عشرة امرأة (٢).

لم يعد للمشركين بال بعودة المسلمين إلى الحبشة مرة ثانية ومعهم عدد آخر من المسلمين الذين لم يهاجروا فى المرة الأولى فأرسلوا إلى ظلهم رجلين من دهاتهم وهما عمرو بن العاص، وعبدالله بن أبى ربيعة قبل إسلامهما

---

(١) راجع البخارى جـ١ صـ٥٤٣ باب سجدة النجم، وانظر تفهم القرآن جـ٥ صـ١٨٨، وزاد المعاد صـ٢٤ جـ١، صـ٤٤ جـ٢.

(٢) المرجع السابق جـ١ صـ٢٤.

كما زودوهما بالهدايا المغرية لملك الحبشة وبطارقته ورغم أن البطارقة قاموا بدور خسيس حاولوا فيه تحريض النجاشي عند المهاجرين من المسلمين إلا أن النجاشي كان أعقل من ذلك كله فأراد الرجل أن يمحص الأمر وأن يقف على حقيقته فأرسل إلى المسلمين ودعاهم ، فحضروا فقال لهم ما هذا الدين الذى فارقتم قومكم ولم تدخلوا به فى دينى ولا دين أحد من تلك الملل ؟

فقام جعفر بن أبى طالب متحدثا عن رأى من معه من المسلمين قائلا : أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ، ويأكل منا القوى الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفته . فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم . وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده ، لا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والصيام والزكاة — وذكر له جعفر كل أمور الإسلام .

ثم قال : فصدقناه ، وآمنا به ، واتبعناه على ما جاءنا به من دين الله فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم الله علينا وأحللنا ما أحل لنا فعدا علينا قومنا : فعذبونا وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا فى جوارك ، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك .

فقال له النجاشي هل معك مما جاء به عن الله من شيء فقال له جعفر

نعم فقال له : فاقرأه على فقرأ عليه صدراً من سورة (مريم) فبكى حتى أخضلت لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا كتبهم التى فى حجورهم .

ثم قال لهم النجاشى : إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة إنطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما أبداً فخرجا وقال عمرو بن العاص لعبد الله بن ربيعة والله لآتينهم غدا عنهم بما استأصل به خضراءهم فقال له عبد الله بن ربيعة فإن لهم أرحاما وإن كانوا قد خالفونا .

ولكن عمراً أصر على رأيه فلما كان الغد قال للنجاشى : أيها الملك : إنهم يقولون فى عيسى بن مريم قولا عظيما ، فأرسل إليهم النجاشى يسألهم عن قولهم فى المسيح ففزعوا ولكن أجمعوا على الصدق كائنا ما كان فلما دخلوا عليه وسألهم قال له جعفر بن أبى طالب نقول فيه الذى جاءنا به نبينا ﷺ : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول . فأخذ النجاشى عودا من الأرض .

ثم قال والله ماعدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود ، فتناخرت بطارقته فقال : وإن نخرتم والله ثم قال للمسلمين : أذهبوا فأنتم شيوم بأرضى أى آمنون .

ثم قال لحاشيته ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لى بها فوالله ما أخذ منى الرشوة حين رد إلى ملكى فآخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس فى فأطيعهم فيه .

قالت أم سلمة التى تروى تلك القصة : فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءوا به ، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار(١) .

---

(١) القصة بطولها فى ابن هشام جـ ١ ص ٣٣٤ — ٣٣٧

رجع عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة بخيبة أمل عظيمة وجن جنون المشركين وذهبوا إلى أبي طالب وعرضوا عليه أن يعطوه عمارة بن الوليد بن المغيرة وأن يعطيهم ابن أخيه محمداً قائلين له إن هذا الفتى أعظم وأجمل فتى في قريش خذه فاتخذه ولداً وأسلم إلينا ابن أخيك الذي خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعتنا وسفه أحلامنا ، فنقتله .

فإنما هو رجل برجل ، فقال لهم أبو طالب والله لبئس ما تسوموني به أتعطوني إبنكم أغذوه لكم ، وأعطيكم ابني تقتلونه هذا والله ما لا يكون أبداً[1] .

محاولتهم قتل النبي :

ذكر ابن هشام أن أبا جهل قال : يامعشر قريش إن محمداً أبا إلا ماترون من عيب ديننا وسب آلهتنا وإني أعاهد الله لأجلس له بحجر ما أطيق حمله فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه فأسلموني عند ذلك أو امنعوني فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم ، فقالوا والله لا نسلمك إليهم أبداً فامض لما تريد .

وحاول أبو جهل تنفيذ ما عزم عليه ولكن الله حال بينه وبين ما أراد وعصم نبيه من كيده وكيد غيره من الأعداء[2] .

(١) المرجع السابق جـ ١ ص ٢٦٦ ، ٢٦٧

(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٢٩٨ — ٢٩٩

بوادر الفرج والنصر تقترب من المسلمين :

في وسط هذا الجو الملىء بالإضطهاد والأذى ضد المؤمنين أسلم حمزه ابن عبد المطلب وسبب أسلامه ما وقع من أبي جهل وهو يسب النبي ويسىء إليه عند الصفا ورسول الله ﷺ لا يرد عليه بكلمة وتطاول أبو جهل أكثر من القول فأخذ حجراً وألقى به في رأسه ﷺ فشجه وسال الدم منه وعاد إلى نادى قريش عند الكعبة وجلس معهم وكانت مولاة لعبد الله ابن جدعان في مسكن لها عند الصفا فشاهدت ذلك وشاهدت حمزة يمر متوشحاً قوسه فأخبرته بما رأته من أبي جهل ضد رسول الله ﷺ فغضب حمزة لذلك وكان أعز فتى في قريش وأشد شكيمة فخرج يسعى حتى دخل المسجد ووقف على رأس أبي جهل وقال له : يامصفر استه تشتم ابن أخي وأنا على دينه ، ثم ضربه بالقوس التي معه فشجه شجه منكرة ، فثار رجال من بني مخزوم — حي أبي جهل — وثار بنو هاشم — حي حمزة — فقال أبو جهل دعوا أباعمارة فإني سببت ابن أخيه سباً قبيحاً(١) .

وقد كان إسلام حمزة أول الأمر أنفه رجل أبي أن يهان ابن أخيه غير أن الله شرح صدره للإسلام حتى أصبح أسد الله .

وتبع أسلام حمزه أسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد أسلم في ذي الحجة سنة ست من النبوة بعد ثلاثة أيام من أسلام حمزه رضي الله عنهما(٢) .

---

(١) راجع مختصر سيرة الرسول ص ٦٦ ، وابن هشام ج ١ ص ٢٩١ — ٢٩٢ .

(٢) راجع تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي .

وكان النبي ﷺ يرى في عمر بن الخطاب خيراً وقوة ولذلك لجأ إلى ربه يطلب الهداية له لأنه ﷺ يعلم أن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء .

فقد أخرج الترمذي عن ابن عمر وصححه كما أخرج الطبراني عن ابن مسعود وأنس أنه صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك بعمر بن الخطاب أو بأبي جهــل بن هشام ، فكان أحبهما إلى الله عمر رضي الله عنه .

وقد تعددت الروايات في سبب إسلام ابن الخطاب وخلاصة ذلك مع الجمع بين الروايات في اسلامه أنه التجأ ليلة إلى المبيت خارج بيته ، فجاء إلى الحرم ، ودخل في ستر الكعبة والنبي ﷺ قائم يصلي مستفتحاً بسورة « الحاقة » فجعل عمر يستمع إلى القرآن الكريم وتعجب له ، قال عمر فقلت : أي في نفسي ، هذا شاعر كما قالت قريش قال : فقرأ (إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شـــاعر قليلا ماتؤمنون) قال فقلت : كاهن قال : « ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون تنزيل من رب العالمين) الخ السورة قال فوقع الإسلام في قلبي »(١) .

وكان بذلك بداية تحول عمــر إلى التـــأمل في الإســلام والتفكير في الدخول فيه حتى أتم الله له النعمة وأصبح مسلماً معلناً عن إسلامه كما تشير الرواية الأخرى والتي وردت في إسلامه رضي الله عنه ، ولمــا تم إسلامه في بيت أخته رضي الله عنها بعد أن سمع القرآن عندها يتلى وبشره خباب الذي كان يقرأ القرآن على أخته وختمه بدعاء النبي قائلا له: أبشر ياعمر

---

(١) ابن هشام حـ ١ ص ٣٤٤

أنى أرجو أن تكون دعوة النبي ﷺ لك ليلة الخميس (اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل عمر بن هشام، ورسول الله في الدار التي في أصل الصفا.

فتوجه عمر رضي الله عنه إلى حيث يوجد رسول الله وبعد حوار بينه وبين الرسول ﷺ قال عنه ابن هشام: أخذ عمر سيفه بعد أن سمع القرآن في بيت أخته والبشارة التي بشره بها خباب، فتوشحه، ثم انطلق حتى أتى الدار، فضرب الباب فقام رجل ينظر من خلل الباب فرآه متوشحاً سيفه فأخبر رسول الله ﷺ، واستجمع القوم، فقال لهم حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه: مالكم قال: عمر فقال لهم: وعمر أفتحوا له الباب فإن كان يريد خيراً بذلناه له، وإن كان جاء يريد شراً قتلناه بسيفه ورسول الله ﷺ داخل يوحى إليه فخرج صلى الله عليه وسلم حتى لقيه في الحجرة فأخذ بمجامع ثوب عمر وحمائل سيفه ثم جبذه جبذة شديدة.

فقال: أما أنت منتهياً يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزى والنكال مانزل بالوليد بن المغيرة؟ اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب فقال عمر أشهد ألا إله إلا الله وأنك رسول الله وأسلم، فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد(١).

---

(١) راجع سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٤٣ — ٣٤٦، تاريخ عمر بن الخطاب ص ٧ — ١١

قريش بعد إسلام حمزه وعمر :

بعد أن أسلم هذان البطلان المسلمان حمزه بن عبد المطلب ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما بدأ المشركون يتدبرون الموقف بصورة أخرى فقد أوقعوا بالمسلمين أصناف العذاب وما وجدوا واحداً منهم قد ترك دينه أو تخلى عن إسلامه فتوجهوا إلى رسول الله ﷺ بأسلوب جديد .

قال ابن إسحق : حدثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى قال : حدثت أن عتبه بن ربيعة ، وكان سيداً ، قال يوماً وهو فى نادى قريش ورسول الله ﷺ جالس فى المسجد وحده يامعشر قريش إلا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها ، فنعطيه أيها شاء ويكف عنا(١) .

وذلك حين أسلم حمزه رضى الله عنه ورأوا أصحاب النبى يكثرون فقالوا بلى وذهب عتبه وعرض على رسول الله ﷺ عروضاً يتعلق بالمال والسيادة والمنصب ولكنه تلى ﷺ على عتبه القرآن بعد أن فرغ من عروضها وكانت التلاوة من أول سورة فصلت حتى وصل ﷺ إلى السجدة من السورة فسجد ثم قال قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك ، فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به فلما جلس إليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال ورائى أنى سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ، ولا بالكهانه ، يامعشر قريش أطيعونى وأجعلوها بى ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه

---

(١) راجع سيرة ابن هشام حـ١ صـ٣٤٣ — ٣٣٦ تاريخ عمر بن الخطاب ص ٧ — ١١

نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، و كنتم أسعد الناس به قالوا سحرك محمد والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فيه فاصنعوا مابدا لكم(١).

أبو طالب بن عبد المطلب وموقفه من النبي أمام تلك الأحداث:

بدأ الموقف يأخذ صورة أخرى بعد أن رفض النبي عروض عتبة ابن ربيعة وتأمل أبو طالب في كل ما وقع فتوجس من المشركين خيفة على ابن أخيه إن المشركين هددوه بالقتال، ثم ساوموه على ابن أخيه بعمارة بن الوليد ليقتلوه ثم حاول أبو جهل قتل النبي بحجر يرضخه، وعقبة ابن أبي معيط خنق النبي في البيت عند الكعبة وحاول قتله وعمر بن الخطاب حمل سيفه اليوم التي أسلم فيه عازماً على قتل النبي.

مرت كل تلك الأحداث بفكر أبي طالب عم النبي وتدبرها جيداً فأدرك منها أن شراً من قريش يكاد يصيب ابن أخيه وما يغني حمزة وعمر وغيرهما إن فوجيء بأذى دبر بليل ضد ابن أخيه وقد تحمل وصاية أبيه عبد المطلب نحو ابن أخيه. وهذا الذي فكر فيه أبو طالب حق فإنهم كادوا أن يجمعوا على قتل النبي . وقد جاء في قوله تعالى (أم أبرموا أمراً فإنا مبرمون)(٢).

ولكن ماذا يفعل أبو طالب والأمر هكذا إنه دعا القوم من بني هاشم وبني المطلب ولدي عبد مناف أن يكونوا معه عوناً لحماية ابن أخيه من

---

(١) ابن هشام جـ ١ ص ٢٩٣، ٢٩٤

(٢) سورة الزخرف آية ٧٩؛ راجع تفسير ابن كثير جـ ٦ ص ١٥٩ — ١٦١